

الدلالة القرآنية بين العربية والترجمات الإنجليزية (دراسة مقارنة)

محمد نور الدين المنجد

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب
والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استجلاء الطاقة التعبيرية للغة العربية قياساً بنظيرتها الإنجليزية، ويتخذ من القرآن الكريم أساساً لمدونته البحثية للمقارنة بثلاث ترجمات إنجليزية مختلفة، ويحاول البحث تلمس دقة الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم ومدى تطابقها مع المعاني التي يؤديها القرآن الكريم بنظمه العربي في نماذج من دلالات ألفاظه، وتراكيبه النحوية، وصيغه الصرفية، وأساليبه البيانية.

ابتدأنا البحث بتمهيد عن نظريات الترجمة وأقسامها، ثم أعقبناه بمناقشة ترجمات آيات قرآنية من خلال أربعة مباحث تشمل علوم اللغة العربية في مفرداتها ونحوها وصرفها وأساليبها.

اقتضت طبيعة البحث أن نعتمد الوصف والمقارنة في خمس عشرة آية، تمثل كل آية جانباً من تعدد الدلالة في النظم القرآني، نتحرى ما ذكره أهل العربية من معانٍ تحتملها الآية بنصها العربي، ثم نقابلها بما ورد من معانٍ في الترجمات الثلاث لنستنتج أوجه التوافق والتباين في التعبير عن تلك المعاني بين الترجمات نفسها من جهة، وبينها وبين النص القرآني من جهة أخرى.

وخلصنا إلى أن الخمس عشرة آية عبّرت عن سبعة وثلاثين معنى، أما الترجمات الثلاث فلم تعبّر مجتمعة عن أكثر من تسعة عشر معنى، اقتصرت إحداها على خمسة عشر معنى، لكل آية معنى واحد لا غير، واثنان على ستة عشر معنى، وقد توافقت الترجمات فيما بينها في اثني عشر معنى، وتباين بعضها في ثلاثة معانٍ، واتفقت ترجمتان في أداء معنيين لآية واحدة، ثم ختمنا بخلاصة وتوصيتين.

تمهيد

شَرَّفَ الله تعالى اللسان العربي بأن جعله لسان خطابه للبشرية جمعاء في آخر وحي أنزله من السماء؛ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، فقال في محكم تنزيله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم: 97)، وقال أيضاً: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّمُنذِرٍ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف: 12).

وتحدي أرباب الفصاحة والبيان أن يأتوا بسورة من مثله، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 23)، وما يزال التحدي قائماً إلى قيام الساعة مستفزاً بلاغة البلغاء، مستنهضاً حماسة الخطباء والأدباء، عرباً وعجماً، إنساً وجنّاً: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: 88).

ولما كان القرآن الكريم خطاباً للناس كافة كان لا بدّ من إبلاغه للناس كافة، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - حاثاً أمته على تبليغ الدعوة: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»⁽¹⁾. وهذا التبليغ لا بدّ له من لغة؛ إما العربية يتعلمها المبلّغ، وإما بتعلّم لغته وترجمة الشريعة وأحكامها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ولئن كان أمر الترجمة سهلاً في مسائل العقيدة وأحكام الفقه والحديث النبوي، أو أحداث السيرة المطهرة - إن الأمر ليس كذلك في ترجمة الخطاب القرآني المتعبّد بتلاوته بأسلوبه العربي وتراكيبه ومفرداته بل وحروفه العربية التي تنزل بها على النبي - صلى الله عليه وسلم -، إذ يقول - صلى الله عليه وسلم - مشجعاً على تعلّم قراءته والتعبّد بتلاوته: «وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَتُعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»⁽²⁾.

أقسام الترجمة

خلص (نيومارك) في كتابه «نظريات في الترجمة» إلى نظريتين اثنتين؛ هما النظرية الدلالية، والنظرية التواصلية، وخلاصة النظرية الدلالية أنها تنقل دلالات البنى النحوية

والدلالات المعجمية للألفاظ من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف بغض النظر عن المؤثرات غير اللغوية؛ مما يؤدي في معظم الأحيان إلى فقدان الكثير من الوظائف التواصلية في النص المصدر وخاصة في النصوص ذات المدلول الثقافي، أما النظرية التواصلية فتركز على نقل الوظائف التواصلية من اللغة المصدر إلى مقابلاتها في اللغة الهدف، بغض النظر عن التكافؤ الدقيق في البنى النحوية بين اللغتين معتمدة في ذلك على دراسة العلاقة بين اللغة والمؤثرات غير اللغوية، وأثر تلك العلاقة في المعنى المراد نقله⁽³⁾.

وجدير بالذكر أن السواد الأعظم ممن قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم اتخذوا من النظرية الدلالية منهجاً لهم⁽⁴⁾، ويمكن تقسيم الترجمات بحسب النظرية الدلالية إلى ثلاثة أقسام، هي: الترجمة الحرفية، والمعنوية، والتفسيرية.

1 - الترجمة الحرفية

يعرّفها القطان بقوله: «وهي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى؛ بحيث يكون النظم موافقاً للنظم، والترتيب موافقاً للترتيب»⁽⁵⁾.

والترجمة الحرفية بالمعنى المذكور لا تحافظ على سياق الأصل ولا تحيط بجميع معانيه، بل تكون قاصرة وناقصة، تُشوّه المعنى، ولا تحقق الغرض من الترجمة، بل إنها قد تنأى عن المعنى المراد؛ لما في العربية من خروج اللفظ عن حقيقة معناه لضروب من الاتساع في المجاز والكناية والاستعارة، وغير ذلك من أساليب البيان.

يقول ابن قتيبة: «وللعرب (المجازات) في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه؛ ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، ولفظ العموم لمعنى الخصوص... وبكل هذه المذاهب نزل القرآن؛ ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية... ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ (الأنفال: 58) - لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط

مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: «إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد، فخفت منهم خيانة ونقضاً، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وأذنهم بالحرب؛ لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء»⁽⁶⁾.

وغير خاف تعذر هذا النوع من الترجمة الذي يتتبع النص كلمة كلمة ويبحث عن نظائرها، ويحافظ مع ذلك على المعنى المراد، بل المعاني المرادة في الكلمة القرآنية وأبعادها وظلالها، بله التركيب وما فيه من دلالات.

وحكم هذه الترجمة الحرفية التي تفقو أثر المفردات ملتزمة نظائرها، عاجزة عن أداء معانيها المرادة بنظمها وترتيبها - حكمها عند كثير من أهل العلم التحريم، يقول القطان: «ولهذا لا يجد المرء أدنى شبهة في حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفية»⁽⁷⁾.

2 - الترجمة المعنوية

يعرّف دoster ويليالف Belyalyev الترجمة المعنوية بأنها: نقل الأفكار والمعاني من لغة إلى لغة أخرى⁽⁸⁾، ويمكننا تعريف ترجمة القرآن ترجمة معنوية بأنها: نقل المعاني القرآنية التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية إلى لغة أخرى من غير مراعاة المفردات وترتيبها.

واشترطنا معرفة مدلولات الألفاظ ووجوه تراكيبها معرفة إجمالية هو ما يحقق إمكانية تقريب المعاني القرآنية وترجمتها لغير العرب؛ ذلك لأن دلالة الألفاظ عند الدارسين تنقسم إلى نوعين: دلالة أصلية محورية يقصد إليها المتكلم ويدركها المتلقون من دون عناء على اختلاف أفهامهم، ودلالات هامشية تدور في فلك الدلالة المحورية، وتضيف إلى مؤداها ما لا يدركه إلا الخاصة.

يقول الإمام الشاطبي في هذا: «اللغة العربية - من حيث هي ألفاظ دالة على معان - نظران: (أحدهما) من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مطلقة، دالة على معان مطلقة، وهي الدلالة الأصلية. و(الثاني) من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مقيدة، دالة على معان خادمة، وهي الدلالة التابعة؛ فالجهة الأولى: هي التي يشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى... وأما الجهة الثانية: فهي التي يختص بها لسان العرب...، فإن كل خبر يقتضي في هذه الجهة أموراً خادمة لذلك

الإخبار، بحسب المُخبر، والمُخبر عنه، والمُخبر به، ونفس الإخبار، في الحال والمساق، ونوع الأسلوب: من الإيضاح، والإخفاء، والإيجاز، والإطناب، وغير ذلك... فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود الأصلي، ولكنها من مكملاته ومتمماته»⁽⁹⁾.

والذي نؤكد فوق ما ذكره الإمام الشاطبي من المعنى الأصلي والمعاني الثانوية للفظ بحكم النظم وخصائص الأسلوب - أن اللفظ الواحد قد يدل على معنيين أصليين أو أكثر لا يخدم أحدهما الآخر ولا يكون تابعاً له، بل لكل منهما أصلته، ويدور في فلكه معان ثانوية خادمة له بحسب النظم، غير ما يدور في فلك صاحبه، يعجز المترجم عن تأديتهما بلفظ واحد كما في النظم العربي، أو يدرك أحدهما ويفوته الآخر، فتكون ترجمة لفهم ضيق لا يتضمن ما يحتمله النص القرآني من معانٍ، وإنما تضمن ما أدركه المترجم منها، فتقصر عن أداء وظيفة النص الأصلي، كما سنرى في الجانب التطبيقي.

وقد يخلط المترجم بين معنيين للفظ، أحدهما مجازي والآخر حقيقي فيترجم المجازي بما يقابله في الحقيقة، يقول القطان: «قد يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي. ولهذا ونحوه وقعت أخطاء كثيرة فيما تُرجم لمعاني القرآن»⁽¹⁰⁾.

ولا نعلم أحداً من العلماء يقرُّ بإمكانية ترجمة كلام العرب بله القرآن الكريم ترجمة تجمع دلالات الألفاظ الأصلية والمعاني الخادمة لها، يضيف الشاطبي معقّباً: «وإذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبار هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاماً من الكلام العربي بكلام العجم على حال، فضلاً عن أن يُترجم القرآن وينقل إلى لسان غير عربي»⁽¹¹⁾.

ويقول ابن قتيبة مبيّناً تعذر الترجمة الحرفية وإمكانية تأدية المعنى المحوري في الترجمة دون المعاني التابعة للألفاظ: «كذلك قوله - تعالى - : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: 11)، إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أنما هم سنين عدداً، لكنك مترجماً للمعنى دون اللفظ. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (الفرقان: 73)، إن ترجمته بمثل لفظه استغلق، وإن قلت: لم يتغافلوا أدّيت المعنى بلفظ آخر»⁽¹²⁾.

وإلى مثل ذلك يذهب الزمخشري في تعذر ترجمة المعاني التابعة للمعاني الأصلية فيقول: «في كلام العرب - خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه - من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها»⁽¹³⁾.

أما حكم الترجمة المعنوية فقد صرح غير واحد بجوازها بل بوجوبها لتبليغ الرسالة لغير العرب، فمنهم الشاطبي الذي يرى أن ترجمة المعنى الأصلي في تفسير القرآن وبيان معناه للعامة أمر جائز، واحتج له باتفاق أهل الإسلام⁽¹⁴⁾.

وما ذهب إليه الشاطبي واعتبره حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي ليس على إطلاقه؛ فإن بعض العلماء يخص هذا بمقدار الضرورة في إبلاغ الدعوة، بالتوحيد وأركان العبادات، ولا يتعرض لما سوى ذلك، ويؤمر من أراد الزيادة بتعلم اللسان العربي⁽¹⁵⁾.

ومنهم من قيد الجواز فذهب إلى إباحتها بقدر المصلحة قائلاً: «وأما الترجمة المعنوية التي هي عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بلغة أخرى فغير محرم، وإنما تتبع فيه المصلحة الشرعية بقدرها»⁽¹⁶⁾.

ومنهم من جعل هذه الترجمة واجباً، يقول محمد العثيمين: «وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل؛ لأنه لا محذور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية؛ لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»⁽¹⁷⁾.

3 - الترجمة التفسيرية

يقصد بالترجمة التفسيرية ترجمة معاني الكلام على نظام غير نظام الأصل، لا يراعي ترتيب ألفاظه وعباراته، وترجمة القرآن بهذه الطريقة ترجمة لمعانيه، لا ترجمة للقرآن نفسه، فهي كالتفسير تماماً، إلا أن التفسير يكون بلغة الأصل والترجمة بلغة أخرى.

وقد تكون الترجمة التفسيرية ذاتية أو غيرية؛ ففي الذاتية يكون المترجم نفسه مفسراً، يدل على ذلك تعريف الذهبي للترجمة التفسيرية بأنها: «شرح الكلام وبيان

معناه بلغة أخرى، بدون محافظة على نظم الأصل وترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه، وذلك بأن نفهم المعنى الذي يراد من الأصل، ثم نأتي له بتركيب من اللغة المترجم إليها يؤديه على وفق الغرض الذي سيق له⁽¹⁸⁾؛ فالمترجم هنا هو الذي يفهم المعنى، وقد يخطئ في الفهم، ثم يأتي بما يؤديه من تراكيب اللغة المترجم إليها.

وأما في الترجمة التفسيرية الغيرية فثمة طرفان: أحدهما مفسر، والآخر يترجم فهم غيره من أهل الاختصاص، يقول القطان في هذا المعنى: «إن علماء الإسلام إذا قاموا بتفسير للقرآن، يتوخى فيه أداء المعنى القريب الميسور الراجح، ثم يترجم هذا التفسير بأمانة وبراعة، فإن هذا يقال فيه: (ترجمة تفسير القرآن) أو (ترجمة تفسيرية)، بمعنى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى»⁽¹⁹⁾.

ولهذه الترجمة التفسيرية مسوغاتها بل موجباتها؛ فقد عرفنا قبل استحالة الترجمة الحرفية وحرمتها. واستحالة ترجمة المعاني الثانوية، ومشقة ترجمة المعاني الأصلية وما فيها من أخطار، فلم يبق إلا أن يترجم تفسير القرآن الذي يتضمن أسس دعوته بما يتفق مع نصوص الكتاب وصريح السنة بما يحقق هدفين أساسيين: أولهما: إيصال هدايته إلى من لا يتكلمون العربية حتى تبلغهم الدعوة، ويفقهوا الإسلام، وتلزمهم الحجة.

ثانيهما: الكشف عن أضاليل المبشرين الذين ترجموا القرآن ترجمة حشوها بعقائد زائفة، وتعاليم فاسدة؛ ليصدوا عن سبيل الله وكتابه.

يقول القطان في هذين الهدفين: «وإذا كان إبلاغ الدعوة من واجبات الإسلام فإن ما يتوقف على هذا البلاغ من دراسة اللغات ونقل أصول الإسلام إليها واجب كذلك. كما أن معرفتنا لهذه اللغات بالقدر الضروري تمكننا من دراسة كتبها للرد على المبشرين والمستشرقين الذين غمزوا عود الإسلام من بعيد أو قريب»⁽²⁰⁾.

وقد اشترط أهل الاختصاص عدة شروط يجب مراعاتها؛ لتكون الترجمة التفسيرية ترجمة صحيحة تسلم من كل نقد يوجّه، وعيب يلتمس⁽²¹⁾:

أولاً: أن تكون الترجمة على شريطة التفسير، لا يعول عليها إلا إذا كانت مستمدة من الأحاديث النبوية، وعلوم اللغة العربية، والأصول المقررة في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: أن يكون المترجم بعيداً عن الميل إلى عقيدة زائفة تخالف ما جاء به القرآن .
 ثالثاً: أن يكون المترجم عالماً باللغتين، المترجم منها والمترجم إليها، خبيراً بأسرارهما، يعلم جهة الوضع والأسلوب والدلالة لكل منهما .
 رابعاً: أن يُكَتَبَ القرآن أولاً، ثم يؤتى بعده بتفسيره، ثم يُتَبَع هذا بترجمته التفسيرية حتى لا يتوهم متوهم أن هذه الترجمة ترجمة حرفية للقرآن .
 وزاد القطان⁽²²⁾ شرطاً خامساً، وهو كتابة جمل في حواشي الصحائف تُشعر القارئ بأن الترجمة المذكورة تفسير لأحد الوجوه التي تحملها الآية .

بعد تعريف الترجمة التفسيرية وتوضيح شروطها يسهل القول بجواز ترجمة القرآن ترجمة تفسيرية، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا النوع من الترجمة بتلك الشروط هو ما يجب على المسلمين القيام به والتشmir له، ويشفع لذلك ما قاله علماء الإسلام كابن تيمية حين قال: «ألفاظ القرآن العربية منزلة على ترتيب الآيات، فليس لأحد أن يغيرها باللسان العربي باتفاق المسلمين، ولكن يجوز تفسيرها باللسان العربي وترجمتها بغير العربي»⁽²³⁾.

وكذلك قول الشيخ محمد حسنين مخلوف في رسالة له حول حكم ترجمة القرآن: «نعم يجوز ترجمة القرآن ترجمة تفسيرية، وهي ما كانت متعلقة ببيان المعنى وتفسيره بدون تعرض لنظم الأصل وترتيبه»⁽²⁴⁾. وكانت مشيخة الأزهر على رأس المجيزين لهذا النوع من الترجمة⁽²⁵⁾.

وبعد، فقد تبين لنا مما سبق استحالة ترجمة القرآن ترجمة الحرفية وحرمتها عند بعض العلماء، وكذلك استحالة ترجمة المعاني الثانوية، ومشقة ترجمة المعاني الأصلية وما فيها من أخطار .

ولنا الآن وقفة وصفية تُوازن بين نماذج من ثلاث ترجمات للقرآن الكريم؛ لنرى مبلغها من العلم والتوفيق في تقريب المعاني القرآنية للناطقين باللغة الإنجليزية، والترجمات هي:

THE HOLY QUR'AN Text Translation and Commentary	BY	ABDULLAH YUSUF ALI
Translation of meanings of THE NOBLE QUR'AN IN THE ENGLISH LANGUAGE	BY	Dr. Muhammad Taqi-ud-Din AL-Hilali AND Dr. Muhammad Muhsin Khan
A WORD FOR WORD MEANING OF THE QUR'AN	BY	MUHAAMMAD MOHAR ALI

وقد أثرنا أن تكون الترجمات المختارة متأخرة في أزمنتها، مختلفة في جنسيات مترجميها، ومتباينة في مشاربها وأساليبها، فكانت ترجمة عبدالله يوسف علي هي الأسبق زماناً (1934-1937)، وتعد من أكثر الترجمات شهرة وانتشاراً، والمترجم هندي ينتمي لطائفة البهرة الداودية التي هي أحد فروع الفرقة الإسماعيلية الشيعية، وانتهج في ترجمته أسلوب الترجمة الدلالية⁽²⁶⁾ Semantic Translation.

وأما ترجمة محمد تقي الدين الهلالي فظهرت أول مرة عام 1977م، واعتمدت الترجمة على تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير وصحيح البخاري، والمترجم عربي مغربي محدث لغوي أديب، وكان إماماً في المسجد النبوي عامين، ثم عاماً في المسجد الحرام، وقد اعتمد في ترجمته طريقة التعادل الشكلي أو البنيوي Formal equivalence؛ إذ حافظ على ذكر المصطلحات بأسمائها العربية ونقلها صوتياً⁽²⁷⁾.

وأما ترجمة محمد مهر علي فظهرت تباعاً بدءاً من 1998م، وطبعت كاملة عام 2003م، والمترجم بنغالي، اتبع في ترجمته نوعاً من الترجمة الحرفية كما يبدو من العنوان: ترجمة القرآن كلمة بكلمة، وجدير بالذكر أن المترجم اعترف بعدم وجود ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم؛ إذ تحقيق ذلك غير ممكن، ولكنه حاول أن يقدم ترجمة لبعض معاني القرآن⁽²⁸⁾.

وحتى تكون الدراسة مثمرة اخترنا آيات من القرآن الكريم تعددت دلالاتها بمفرداتها ونظمها العربيين عند علماء العربية وأهل التفسير.

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى أربعة أقسام بحسب أسباب تعدد الدلالة فيها، وهي الأسباب المعجمية، والأسباب النحوية، والأسباب الصرفية، وأخيراً الأسباب البلاغية.

أولاً- تعدد الدلالة لأسباب معجمية

يمكن تقسيم الحديث عن الأسباب اللغوية إلى نوعين من الكلمات، أحدهما أدوات ربط بين مكونات الجملة، وهي حروف المعاني، وثانيهما المفردات المعجمية أسماء وأفعالاً.

1 - دلالة حروف المعاني

- قال تعالى: ﴿وَلِإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: 9).

قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ﴾ يفيد دلالتين في الآية الكريمة: الأولى: دلالتها على علة القتال؛ أي بمعنى (كي)، والتقدير: فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي كِي تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ. والثانية: دلالتها على الغاية؛ أي بمعنى (إلى)، والتقدير: فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي إِلَىٰ أَنْ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ. يقول الأزهرى: «وقد تكون (حتى) في الموضع الواحد تحتلها؛ أي: المعنيين، معنى (إلى)، ومعنى (كي)، كقوله - تعالى -: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾. يحتمل أن يكون المعنى على الغاية، أو التعليل؛ أي: إلى أن تفيء، أو كي أن تفيء»⁽²⁹⁾. فالتعبير بـ (حتى) أكسب الآية معنيي العلة والغاية، ولو كان التعبير بـ (كي) أو (إلى) أن) لما أفاد غير إحدى الدالتين.

أما في الترجمات الإنجليزية فقد دلت ثلاثتها على المعنى الأول، وهو الغاية؛ فقد ترجمها محمد مهر علي بـ:

«Until it returns»⁽³⁰⁾.

وترجمها محمد الهاللي بقوله:

«Till it complies with ...»⁽³¹⁾.

وترجمها عبدالله يوسف علي بقوله :

«Until it complies with»⁽³²⁾ .

ولم يذكر أحد منهم معنى العلة التي عبّرت عنه (حتى) في النص العربي ، ولو ذكروه لاحتاجوا إلى عبارة ثانية ؛ لتؤدّي معاً المعنيين اللذين أدّتهما (حتى) وحدها في الآية الكريمة .

2 - دلالة المفردات

أ - دلالة اللفظ على معنيين من جذر واحد

- قال تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 121) .

يدل الفعل (يتلو) في اللغة على معنيين ، هما القراءة والاتباع ، يقول الأصفهاني : «تلاه : تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها ، وذلك يكون تارة بالجسم ، وتارة بالاعتداء في الحكم . ومصدره : تَلَوْا وتَلَوْ ، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى ومصدره : تلاوة ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ (الشمس: 2) ، أراد به ههنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة . . . ، والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة ، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب»⁽³³⁾ . وقوله - تعالى - : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يحتمل أن يكون من التلاوة ؛ أي : القراءة والتدبر . ويحتمل أن يكون من التلوّ ، بمعنى الاتباع والاقتداء . جاء في فتح القدير : «والمراد بقوله ﴿يَتْلُونَهُ﴾ أنهم يعملون بما فيه ؛ فيحللون حلاله ويحرمون حرامه ، فيكون من تلاه يتلوه إذا اتبعه ، ومنه قوله - تعالى - : ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ (الشمس: 2) ؛ أي : اتبعها كذا قيل . ويحتمل أن يكون من التلاوة ؛ أي : يقرؤونه حق قراءته لا يحرفونه ولا يبدلونه»⁽³⁴⁾ ، ومثل ذلك قول البيضاوي في تفسيره التلاوة بالقراءة والعمل . يقول : «﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه»⁽³⁵⁾ .

فلآية جمعت بكلمة واحدة معنيي القراءة والاتباع ، وأغنت عن جملتين ؛ فبدل أن يقول : يقرؤونه حق قراءته ويتبعونه حق اتباعه ، اختزن المعنيين بقوله : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ فأصابهما من أقرب سبيل .

وكذا الشأن في قوله -تعالى-: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (الكهف: 27)؛ إذ هو أمر من الله -سبحانه- أن يواظب على تلاوة الكتاب الموحى إليه، وأن يتبعه حق اتباعه، جمع المعنيين بكلمة واحدة. أما في الترجمات فقد أشار اثنان إلى معنى القراءة، والآخر إلى معنى الاتباع، يقول محمد مهر علي في معنى القراءة: ⁽³⁶⁾ «they read it as it ought to be read».

ويقول عبدالله يوسف علي:

«Those to whom We have sent The Book study it as it Should be studied ...» ⁽³⁷⁾.

وانفرد عنهما محمد الهلالي بترجمة معنى الاتباع، فقال:

«to whom We have given the Book (the Qur'an) recite it (i. e. obey its orders and follow its teachings) as it should be recited (i. e. followed)» ⁽³⁸⁾.

بهذا نرى الترجمتين الأوليين أدتا معنى القراءة، وأدت الترجمة الثالثة معنى الاتباع، في حين جمعت الآية الكريمة ما تفرق في الترجمات من معان بلفظ واحد في اللسان العربي.

ب - دلالة اللفظ على معنيين من جذرين مختلفين

قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ (يوسف: 49).

قوله -تعالى-: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يحتمل من حيث الاشتقاق أمرين: الأول: أن يكون واوياً من (الغوثة)، والماضي (أغاث) رباعي، وهو الفرج والنجدة، نقول: أغاثنا الله، أي: أنجدنا وفرج عنا. والثاني: أن يكون يائياً من (الغيث)، والماضي (غاث) ثلاثي، وهو المطر، نقول: غاثنا الله، أي: أمطرنا.

جاء في الباب: ﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يجوز أن تكون الألف عن واو، وأن تكون عن ياء: إما من الغوث، وهو الفرج، وفعله رباعي، يقال: أغاثنا الله إذا أنقذنا من كرب أو

غَمٌّ، ومعناه: يغاثُ الناسُ من كَرْبِ الجَدْبِ. وإما من الغَيْثِ، وهو المطرُ، يقال: أُغِيثَتْ الأرضُ، أي: أمطرتُ، وفعله ثلاثي، يقال: أَغَاثْنَا الله من الغَيْثِ، وقالت أعرابيةٌ: غَثْنَا ما شِئْنَا، أي: أَمْطَرْنَا ما أَرَدْنَا»⁽³⁹⁾.

والذي يُلحظ في دقة استخدام هذه الكلمة أنها بُنِيَتْ للمجهول، فانقلبت الواو والياء في الرباعي والثلاثي ألفاً؛ لتجمع الاحتمالين معاً بكلمة واحد، فكأنه قال: (فيه يُنَجِّدُونَ وَيُمِطُّونَ)، فأكسبت الآية اتساعاً في المعنى، واللفظ واحد. أما الترجمات فلم تذكر المعنيين مجتمعين؛ إذ ورد معنى المطر في اثنتين منها، ومعنى النجدة في الثالث، يقول الهلالي في معنى المطر:

«Then thereafter will come a year in which people will have abundant rain»⁽⁴⁰⁾.

ويقول عبدالله يوسف في المعنى نفسه:

«the people will have Abundant water, ...»⁽⁴¹⁾.

وترجم محمد مهر علي الآية بالمعنى الثاني وهو الغوث والنجدة فقال:

«a year in which people will be relieved ...»⁽⁴²⁾.

والحاصل أن اللفظ العربي (يُغَاثُ) عبر عن معنيين مرادين في الآية الكريمة، ولم يحصل ذلك في أي من الترجمات الثلاث.

ثانياً- تعدد الدلالة لأسباب نحوية

1 - اختلاف تعليق شبه الجملة

أ- تعليق الجار والمجرور

- قال - تعالى - : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ...﴾ (القصص: 25).

يتسع نظم الآية الكريمة ليحتوي ثلاث دلالات متباينة ومقصودة في الوقت نفسه من دون تغيير في العبارة أو تطويل، وذلك بتغيير تعليق الجار والمجرور (عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) على ثلاثة أوجه:

الأول: تعليقهما بالفعل (تَمْشِي)، وتقدير المعنى: تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، يقول ابن عاشور: «وذكر (تَمْشِي) ليني عليه قوله (عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)، وإلا فإن فعل (جاءته) مغن عن ذكر (تَمْشِي). و(عَلَى) للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من الوصف. والمعنى: أنها مستحيية في مشيها، أي تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة»⁽⁴³⁾.

والثاني: تعليقهما بالفعل (جَاءَتْهُ)، فيكون المعنى: فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، يقول أبو السعود: «وقوله تعالى: (عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) متعلقٌ بمحذوفٍ هو حالٌ من ضمير تَمْشِي، أي: جاءته تَمْشِي كائنةً على استحياءٍ، فمعناه أنها كانت على حالتي المشي والمجيء معاً لا عند المجيء فقط»⁽⁴⁴⁾.

أما الوجه الثالث: فبتعليقهما بالفعل (قَالَتْ)، فيكون قولها على استحياء، يقول الرازي: «ومنها من يقف على قوله (تَمْشِي)، ثم يتدبّر فيقول: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنْكِ أَيْ يَدْعُوكِ﴾، يعني أنها على الاستحياء قالت هذا القول»⁽⁴⁵⁾.

وثلاثة المعاني ممكنة بل يحتملها نظم الآية الكريمة؛ إذ كان الحياء يُجَلِّلُ الفتاة في مجيئها ومشيتها وقولها على السواء.

ومن اللافت أن الترجمات الثلاث لم تذكر إلا معنى واحداً هو تعليق الاستحياء بالمشي فقط، من دون إشارة إلى تعليقه بالمجيء أو القول، فقد جاء في ترجمة محمد مهر علي قوله:

«Then there came to him one of the two women walking shyly»⁽⁴⁶⁾.

وبالعبارة نفسها ترجمها الهاللي فقال:

«Then there came to him one of the two women ، walking shyly .»⁽⁴⁷⁾.

أما عبدالله يوسف فترجمها بقوله:

«Afterwards one of the (damsels) came (back) to him ، walking bashfully»⁽⁴⁸⁾.

فانصبت الترجمات الثلاث على معنى واحد في الآية الكريمة التي عبّرت بتركيب لغوي واحد عن ثلاثة المعاني مجتمعة، ولو ذكرها المترجمون لاحتاجوا إلى ثلاثة تراكيب متباينة لتؤدي ما أداه التركيب العربي من معان.

ب - تعليق الظرف

- قال تعالى: ﴿... وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: 93).

تحتمل الآية معنيين ينبنى عليهما اختلاف تعليق الظرف واختلاف الوقف في الآية:

المعنى الأول: أمرٌ بإخراج الأنفس في هذا اليوم، وهو يوم الموت ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ﴾، ويكون الوقف في القراءة على (الْيَوْمَ)، ثم الإخبار بالعذاب جزاءً ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾.

والثاني: أمرٌ بإخراج الأنفس ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، ويكون الوقف في القراءة على (أَنْفُسَكُمْ)، ثم الإخبار بأن الجزاء بالعذاب سيقع في هذا اليوم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

يقول صاحب التبيان: «و(الْيَوْمَ) ظرف لـ (أخرجوا) فيتم الوقف عليه. ويجوز أن يكون ظرفاً لـ (تُجْزَوْنَ) فيتم الوقف على (أَنْفُسَكُمْ)»⁽⁴⁹⁾.

ويقول أبو حيان: «و(الْيَوْمَ): من قال إن هذا في الدنيا كان عبارة عن وقت الإماتة...، ومن قال إن هذا في القيامة كان عبارة عن يوم القيامة، أو عن وقت خطابهم في النار»⁽⁵⁰⁾.

ويعضد هذين القولين ابن عادل الدمشقي في تفسيره إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ في هذا الظرف وجهان: أظهرهما: أنه منصوب بـ (أخرجوا) بمعنى: أخرجوها من أبدانكم، فهذا القول في الدنيا، ويجوز أن يكون في يوم القيامة، والمعنى خَلَّصُوا أَنْفُسَكُمْ من العذاب...، فالوقف على قوله (الْيَوْمَ)، والابتداء بقوله ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾. والثاني: أنه منصوب بـ (تُجْزَوْنَ)، والوقف حينئذ على (أَنْفُسَكُمْ)، والابتداء بقوله: (الْيَوْمَ)، والمراد بـ (الْيَوْمَ) يحتمل أن يكون وقت الاحتضار، وأن يكون يوم القيامة⁽⁵¹⁾. فباختلاف تعليق الظرف دلت الآية الكريمة على معنيين صحيحين ومختلفين في تركيب لغوي واحد، من دون الحاجة إلى زيادة في العبارة.

وفي هذه الآية أيضاً اقتصر المترجمون على معنى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، ولم يبينوا دلالة الآية على معنى ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ﴾، فقال محمد مهير: «give up your souls . Today you will be awarded ...»⁽⁵²⁾.

وقال الهلالي في المعنى نفسه:

«This day you shall be recompensed with the torment of degradation ...»⁽⁵³⁾.

وعبر عبدالله يوسف عن المعنى ذاته بقوله:

«This day shall ye receive your reward ...»⁽⁵⁴⁾.

ولو ذكر المترجمون المعنى الآخر للزمهم التعبير عنه بتركيب لغوي ثان، أما التركيب بالعربية فتميّز بالجمع بين المعنيين من أقرب سبيل.

2 - اختلاف الإعراب

- قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ (النساء: 36).
 أثر التعبير القرآني كلمة (شَيْئًا) على غيرها من المفردات؛ لما فيها من اتساع الدلالة في هذا السياق؛ إذ إنها تنوب عن معنيين مرادين معاً في الوقت نفسه:
 الأول: معنى المفعول المطلق، فقد يكون (الشيء) كناية عن الشرك، أي: لا تشركوا به شيئاً من الشرك مهما كان قليلاً.
 والثاني: معنى المفعول به، إذ يُراد به (الشيء) مما يُعبد من دون الله من خلقه حجراً أو بشراً أو غير ذلك.

يقول الشوكاني: «(شَيْئًا) إما مفعول به؛ أي: لا تشركوا به شيئاً من الأشياء من غير فرق بين حي وميت وجماد وحيوان، وإما مصدر؛ أي: لا تشركوا به شيئاً من الإشراف من غير فرق بين الشرك الأكبر والأصغر والواضح والخفي»⁽⁵⁵⁾.
 ويقول البيضاوي: «﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ صنماً أو غيره، أو (شَيْئًا) من الإشراف جلياً أو خفياً»⁽⁵⁶⁾.

ولو أراد تخصيص أحد المعنيين لفعل كما في قوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: 110)، ولكنه أثر هنا التعبير بـ (شَيْئًا)، ليجمع المعنيين معاً بعبارة وجيزة.

أما المترجمون الثلاثة فقد أشاروا متفرقين إلى المعنيين ، فأحدهم ذكر المعنى الأول ، والآخرون ذكروا المعنى الثاني ، وكل منهم بعبارة مختلفة عن غيره ، يقول محمد مهر علي معبراً عن المعنى الأول :

«and do not associate with Him anything» ⁽⁵⁷⁾ .

ويقول الهلالي معبراً عن المعنى الثاني :

«Worship Allah and join none with Him» ⁽⁵⁸⁾ .

أما عبدالله يوسف فيعبر عن المعنى نفسه بقوله :

«Serve God ، and join not Any partners with Him» ⁽⁵⁹⁾ .

فأصاب كل منهم أحد المعنيين ولم يلمح إلى الآخر ، وأصاب الآية الكريمة المعنيين معاً بدقة اختيار الكلمة المناسبة لهما .

3 - اختلاف صاحب الحال

- قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (التوبة : 36) .

إعراب (كَافَّةً) في سياق الآية يفيد معنيين محتملين :

الأول : الحال من الفاعل (واو الجماعة) ، أي : قاتلوا جميعاً المشركين .

والثاني : الحال من المفعول (المشركين) ، أي : قاتلوا المشركين جميعاً .

يقول ابن هشام : «من الحال ما يحتمل كونه من الفاعل وكونه من المفعول ، نحو : ضربت زيداً ضاحكاً ، ونحو : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾» ⁽⁶⁰⁾ .

ويقول العكبري : «وَ(كَافَّةً) : مصدر في موضع الحال من المشركين ، أو من ضمير الفاعل في (قَاتِلُوا)» ⁽⁶¹⁾ .

ويقول الألوسي في إعرابها ومعناها : «(حال) إما من الفاعل وإما المفعول ، فمعنى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ لا يتخلف أحد منكم عن قتالهم ، أو لا تتركوا قتال واحد منهم» ⁽⁶²⁾ .

وقد انفردت إحدى الترجمات بالتعبير عن المعنى الأول دون الثاني ، واتفقت اثنتان على أداء المعنيين معاً ، فقال محمد مهر علي معبراً عن المعنيين :

«and fight the polytheists one and all as they fight you one and all» ⁽⁶³⁾.

وترجم الهاللي المعنى الأول فقط بقوله :

«and fight against the Mushrikun (polytheists ، ...) collectively» ⁽⁶⁴⁾.

وقال عبدالله يوسف علي معبراً عن المعنيين :

«and fight the Pagans all together as they fight you all together . » ⁽⁶⁵⁾.

وبهذا نجد أن مترجمين تمكنا من نقل المعنيين في الآية إلى اللغة المستهدفة والناطقين بها ، في حين اقتصر أحد المترجمين على أداء المعنى الأول ، وقد أدت الآية الكريمة المعنيين جميعاً بتأخير (كَافَّةً) لتصلح حالاً من الفاعل ومن المفعول معاً .

4 - اختلاف عائد الضمير

- قال تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود: 3) .

إن تأخير (فضله) عن (كُلِّ ذِي فَضْلٍ) مكن الآية من تأدية معنيين في وقت واحد ، وذلك باختلاف عائد الضمير ؛ فإن قولنا (ويؤت فضله كل ذي فضل) يفيد معنى واحداً يحدده عود الضمير على الرب في قوله تعالى ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ .

أما عائد الضمير في نظم الآية الكريمة ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ففيه قولان : الأول : يحتمل أن يعود على الله ، عزَّ وجلَّ ؛ أي : يؤتي الله فضله كل ذي فضل وعمل صالح من المؤمنين .

والثاني : أن يعود على (ذِي فَضْلٍ) ؛ أي : ثواب فضله . والمعنى : يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ وإحسان ثواب فضله وإحسانه .

يقول ابن الجوزي مفصلاً هذين الاحتمالين : «في هاء الكناية قولان : أحدهما : أنها ترجع إلى الله تعالى . ثم في معنى الكلام قولان : أحدهما : ويؤت كل ذي فضل من حسنةٍ وخيرٍ فضله ، وهو الجنة . والثاني : يؤته فضله من الهداية إلى العمل الصالح .

والثاني : أنها ترجع إلى العبد ، فيكون المعنى : ويؤت كل من زاد في إحسانه

وطاعاته ثواب ذلك الفضل الذي زاده، فيفضّله في الدنيا بالمنزلة الرفيعة، وفي الآخرة بالثواب الجزيل»⁽⁶⁶⁾.

فزاد بتأخير (فَضْلُهُ) معنى لم يكن ليحصل بتقديمها، بل لاحتاج إلى عبارتين لتأدية المعنيين، كأن يقول: ويؤت ربكم فضله كل ذي فضل، ويؤت كل ذي عمل صالح وفضل ثواب عمله وفضله. وأين هذا التعبير من ذاك النظم؟ وهنا أيضاً توجهت الترجمات الثلاث إلى المعنى الأول ولم تُنبّه على المعنى الثاني، يقول محمد مهر علي:

«and will award every owner of merit His grace»⁽⁶⁷⁾.

ويقول الهاللي في المعنى نفسه:

«And bestow His bounding Grace to every owner of grace ...»⁽⁶⁸⁾.

أما عبدالله يوسف علي فيقول:

«And bestow His abounding grace on all who abound in merit»⁽⁶⁹⁾.

ولم نجد عند ثلاثتهم ذكراً للمعنى الثاني الذي يعود فيه الضمير للعبد، وقد جمعتهما الآية الكريمة معاً بتأخير (فَضْلُهُ) ليصلح عود الضمير على (رَبُّكُمْ) وعلى (كُلِّ ذِي فَضْلٍ) جميعاً.

5 - الجمعة بين الفعل واسم مصدره

- قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: 245).

جمعت الآية الكريمة بين الفعل (يُقْرِضُ) واسم المصدر (قَرْضًا)، فدلّت على معنيين محتملين في اسم المصدر:

الأول: نيابته عن المصدر؛ أي: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ إِقْرَاضًا حَسَنًا.
والثاني: دلالة القرض على المال المقرض، كالتلق بمعنى المخلوق، فيعرب مفعولاً به، والمعنى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ مَالًا حَسَنًا. و(حَسَنًا) صفة للمال، ويكون بمعنى الطيب أو الحلال.

يقول الألوسي: «وذكر غير واحد أن (قَرْضًا) يحتمل المصدر والمفعول به»⁽⁷⁰⁾.

ويقول البيضاوي في هذين المعنيين: «(قَرْضاً حَسَنًا): إقراضاً حسناً مقروناً بالإخلاص وطيب النفس، أو مقرضاً حلالاً طيباً»⁽⁷¹⁾.

فقد يراد بـ (قَرْضاً حَسَنًا) ما يقرض، فيكون مفعولاً به. وقد يراد به إقراضاً حسناً، فيكون مفعولاً مطلقاً، وقد كسب المعنيين معاً باستخدام اسم المصدر (قَرْضاً)، ولو استخدم المصدر لما أفاد إلا معنى الإقراض فقط.

والذي نلاحظه في الترجمات الثلاث أنها انصببت على ترجمة المعنى الأول (الإقراض) وأغفلت المعنى الثاني وهو (المال المقرض)؛ إذ يقول محمد مهر علي في هذا:
«Who is it that lends to Allah a handsome loan؛ ...»⁽⁷²⁾.

ويقول الهاللي:

«Who is he that will lend to Allah a goodly loan»⁽⁷³⁾.

أما عبدالله يوسف فيقول:

«Who is he that will loan to God a beautiful loan،»⁽⁷⁴⁾.

وبالموازنة بين النص العربي والترجمات نجد اتساع المعنى في النظم القرآني ليشمل معنيين محتملين باستخدام اسم المصدر بدل المصدر، أما الترجمات فلم تعبر إلا عن معنى واحد على اختلاف أساليبها.

ثالثاً- تعدد الدلالة لأسباب صرفية

أ- دلالة الصيغة الصرفية على معنيين من جذر واحد:

- قال تعالى: ﴿يَسْ ۝١﴾ وَأَلْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ (يس: 1-3).

وُصف القرآن الكريم بـ (الحكيم) في هذه الآية، وفي ثلاث آيات آخر، هي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: 58)، وقوله: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (يونس: 1)، وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (لقمان: 2).

و(الحكيم) في هذه الآيات جاءت وصفاً للذكر والكتاب والقرآن، والكلمة على صيغة (فعل)، وفي دلالتها احتمالات عدة:

أولها: فعيل بمعنى فاعل؛ أي: الكتاب الحاكم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (البقرة: 213).
 ثانيها: فعيل بمعنى مفعول؛ أي: الكتاب المحكوم، ودليله قوله تعالى: ﴿الرَّكْنُبُ أَحْكَمْتُ مِنْهُ، ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (هود: 1).

وثالثها: فعيل بمعنى مفعول، أي: الكتاب المحكوم بما فيه، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: 45)؛ أي: بما في كتاب الله من الأحكام.

أما رابعها فالحكيم الناطق بالحكمة؛ أي: الكتاب ذي الحكمة، ودليله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (الإسراء: 39)، وقوله: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: 34).

يقول أبو حيان: «ووصف الكتاب بالحكيم، إما لتضمُّنه للحكمة، قيل: أو (فعيل) بمعنى المحكم...، ويجوز أن يكون (حكيم) بمعنى (حاكم). وقال الزمخشري: الحكيم: ذو الحكمة»⁽⁷⁵⁾.

ويقول القرطبي: «والحكيم: المحكم بالحلل والحرام والحدود والأحكام». قاله أبو عبيدة وغيره.

وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم؛ أي: إنه حاكم بالحلل والحرام وحاكم بين الناس بالحق، فعيل بمعنى فاعل دليله قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: 213).

وقيل: الحكيم بمعنى المحكوم فيه؛ أي: حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه، فهو فعيل بمعنى المفعول. قاله الحسن وغيره.

وقال مقاتل: الحكيم بمعنى المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف، فعيل بمعنى مفعول»⁽⁷⁶⁾.

فتأمل كيف اتسعت هذه المفردة لمعان كثيرة بصيغتها (فعل)، وجعلت المفسرين يختلفون في تأويلها، ويذهبون فيها مذاهب شتى، ولعل الأولى أن يُقال: إن تلك المعاني كلها مرادة ومقصودة معاً في آن واحد، فالقرآن الكريم ناطق بالحكمة وحاكم ومُحكّم ومحكوم فيه بالعدل، عبّر النظم القرآني عن كل تلك المعاني بقوله ﴿وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ﴾. ولو نظرنا في الترجمات الثلاث لوجدناها تصب في معنى واحد وهو (الحكمة)، وتتفق في التعبير عنه بتركيب لغوي واحد ألا وهو:

«By the Quran ، full of wisdom»⁽⁷⁷⁾.

ولم يتعرض المترجمون لما تحتمله صياغة الكلمة من معانٍ آخر فقصروا وصف القرآن في الآية على معنى الحكمة، في حين عبر النظم باللسان العربي عن وصف القرآن بأنه ذو حكمة ومحكوم فيه وحاكم ومُحكّم، كل ذلك بكلمة واحدة مستفيداً من صيغتها الصرفية.

ب - دلالة الصيغة الصرفية على زمنين: الماضي والمضارع

- قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 32).

الفعل في قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ في هذه الآية يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون على لفظه فعلاً ماضياً مسنداً لضمير الغائب، والمعنى: فإن أعرضوا عن قبول الطاعة.

والثاني: أن يكون مضارعاً، والأصل (تَتَوَلَّوْا)، ويكون الكلام جارياً على نسق واحد، وهو الخطاب، وحذف إحدى التاءين تخفيفاً كما في قوله تعالى ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ (الكهف: 17).

يقول البيضاوي: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يحتمل الماضي والمضاربة بمعنى فإن (تتولوا)⁽⁷⁸⁾.

ويقول أبو حيان: «يحتمل أن يكون (تَوَلَّوْا) ماضياً، ويحتمل أن يكون مضارعاً حذفت منه التاء؛ أي: فإن تتولوا»⁽⁷⁹⁾.

ففي الآية احتمالان الماضي مع الغائب، والمضارع مع المخاطب، والحق أن كليهما يمكن أن يكون مراداً مجتمعين أو مفترقين، والآية تشمل الغائبين والمخاطبين، ولو قال (تَوَلَّوْا) لقيد المعنى بوجه واحد، ولكنه لما أراد جمع المعنيين أثر الصيغة الاحتمالية على الصيغة القطعية، فقال (تَوَلَّوْا).

ولو نظرنا في الترجمات الثلاث لوجدناها لا تذكر إلا معنى واحداً؛ إذ أجمعت على دلالة الفعل على الزمن الماضي ولم تُشر إلى دلالة الفعل على الاستقبال باقتراحه (إن الشرطية) مع إمكانية حذف تاء المضارعة في اللغة العربية، فيقول محمد مهر علي:

«But if they turn away ...» ⁽⁸⁰⁾.

ويقول الهاللي:

«But if they turn away ...» ⁽⁸¹⁾.

أما عبدالله يوسف فيقول:

«But if they turn back ...» ⁽⁸²⁾.

فقد اتفقت الترجمات على أحد المعنيين وغفلت عن المعنى الثاني، في حين أن النص القرآني وينظمه باللسان العربي عبّر عن المعنيين معاً بكلمة واحدة مستفيداً من حذف التاء في الفعل المضارع ليحتمل الدلالة على المضارع والماضي معاً.

رابعاً- تعدد الدلالة لأسباب بلاغية

1 - التقديم والتأخير

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: 35).

قد يتساءل قارئ هذه الآية الكريمة، لم قال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ؟﴾، والمتبادر للأذهان أن تكون العبارة (على قلب كل متكبر).

والحق أن في تقديم (كُلِّ) على (قَلْبٍ) مزيد معنى، وبيان ذلك أن الله يطبع على قلب المتكبرين عموماً، وهو المعنى المراد والمتبادر للذهن ابتداءً، غير أن في النظم الكريم

دلالة أعمق غوراً من تلك؛ إذ إنه يشمل أيضاً جميع القلب لا بعضه، فكأنه قال (كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر جبار).

يقول ابن هشام: «(كل) اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر، نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الأنبياء: 35)، والمعرف المجموع، نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: 95)، وأجزاء المفرد المعروف، نحو: كُلُّ زَيْدٍ حَسَنٌ. فإذا قلت: أَكَلْتُ كُلَّ رَغِيفٍ لَزِيدٍ كانت لعموم الأفراد، فإن أضفت الرغيف إلى زيد صارت لعموم أجزاء فردٍ واحد. ومن هنا وجب... تقدير (كل) بعد (قلب) ليعم أفراد القلوب كما عم أجزاء القلب»⁽⁸³⁾.

ويقول الألوسي: «والظاهر أن عموم (كل) منسحب على المتكبر والجبار أيضاً، فكأنه اعتبر أولاً إضافة قلب إلى ما بعده ثم اعتبرت إضافته إلى المجموع»⁽⁸⁴⁾.

فقد أفاد تقديم (كُلِّ) على (قَلْبِ) المعنيين معاً، استغراق جميع القلب، واستغراق جميع المتكبرين، بخلاف تأخيرها الذي يفيد استغراق المتكبرين، ولا يفيد استغراق القلب كله. أما الترجمات الثلاث فقد أثبتت المعنى المخالف لظاهر النظم القرآني، وهو المتبادر للذهن ابتداءً، ولم تشر إلى احتمالية معنى آخر، فقد ترجمها محمد مهر علي بقوله: «Thus Allah puts a seal on the heart of everyone arrogant, tyrant»⁽⁸⁵⁾.

أما الهاللي فقال:

«Allah seal up the heart of every arrogant, tyrant»⁽⁸⁶⁾.

وأما عبدالله يوسف علي فقال:

«Thus doth God seal up Every heart of arrogant and obstinate transgressors»⁽⁸⁷⁾.

وبهذا نرى أن الترجمات الثلاث ضاقت عن استيعاب المعنيين اللذين اتسع لهما النص القرآني بلسانه العربي.

2 - الحذف

- قال تعالى: ﴿فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: 160).

في قوله - تعالى - : ﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ حذفان يوسعان دلالة الخطاب أيما اتساع :

أولهما : حذف المفعول مما يولد معنيين : أحدهما : أن يكون صدّهم بإعراضهم عن سبيل الله ، فيكون المفعول (أنفسهم) . والآخر : أن يكون الصدّ لغيرهم .

يقول الثعالبي : ﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ يحتمل أن يريد صدّهم في ذاتهم ، ويحتمل أن يريد صدّهم غيرهم⁽⁸⁸⁾ .

والحذف الثاني : حذف الموصوف بالكثرة ؛ إذ يحتمل أن يكون المراد بـ (كثيراً) المصدر ؛ أي : صدّاً كثيراً ، ويحتمل أن يراد به الوقت ، أي : وقتاً كثيراً ، ويحتمل أن يراد به الخلق ، أي : خلقاً كثيراً ، فجمعت الآية الكريمة ثلاثة معان في آن واحد بحذف الموصوف .

يقول أبو حيان : ﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ؛ أي : ناساً كثيراً ، فيكون كثيراً مفعولاً بالمصدر ، وإليه ذهب الطبري . قال : صدّوا بجحدهم أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - جمعاً عظيماً من الناس ، أو صدّاً كثيراً . وقدره بعضهم زماناً كثيراً⁽⁸⁹⁾ . فاتسعت الآية الكريمة لخمسة معان مستفادة من الحذفين ، فبدل أن يقول :

وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ صَدّاً كَثِيراً .

وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَمَاناً كَثِيراً .

وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ خَلْقاً كَثِيراً .

وَبَصَدَّهِمُ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ صَدّاً كَثِيراً .

وَبَصَدَّهِمُ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَمَاناً كَثِيراً .

ومجموع هذه المعاني يمكن تقديره بالقول : وَبَصَدَّهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ صَدّاً كَثِيراً وَزَمَاناً كَثِيراً ، وَبَصَدَّهِمُ اللَّهُ خَلْقاً كَثِيراً وَصَدّاً كَثِيراً وَزَمَاناً كَثِيراً . أما النص القرآني فقد استعاض عن هذه الإطالة كلها بحذف المفعول والموصف ، فاتسع في المعاني وأوجز في العبارة .

والناظر في الترجمات الثلاث يجدها لم تذكر سوى المعنى الأول: وَبَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ خَلْقًا كَثِيرًا، يقول محمد مهر علي:

«And for their preventing from the way of Allah a good many ...»⁽⁹⁰⁾.

أما محمد الهلالي فيقول:

«And for their hindering many from Allah's way»⁽⁹¹⁾.

وأما عبدالله يوسف فيقول:

«In that they hindered many from God's way»⁽⁹²⁾.

وأما المعاني الأخرى من صد أنفسهم، والصد الكثير، والزمن الكثير، فقد أغفلتها الترجمات الثلاث.

3 - الذُّكْر

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ (فصلت: 34).

يؤدي حرف النفي (لا) في قوله تعالى ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ معنيين بأوجز عبارة؛ إذ يحتمل تأكيد معنى النفي، أي: لا تستوي الحسنة والسيئة. ويحتمل أن الحسنات فيما بينها لا تستوي، فإن بعضها أعظم من بعض، وكذلك السيئات لا تستوي، فإن بعضها أعظم من بعض.

يقول ابن عادل في الباب: «قوله تعالى: ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في (لا) هذه وجهان: أحدهما: أنها زائدة للتوكيد...؛ لأن (استوى) لا يكفي بواحد. والثاني: أنها مؤسسة غير مؤكدة؛ إذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس، أي: لا تستوي الحسنات في أنفسها فإنها متفاوتة، ولا تستوي السيئات أيضاً، فربَّ واحدةٍ أعظم من أخرى»⁽⁹³⁾.

ويقول الزمخشري: «يعني: أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ الحسنة التي هي أحسن من أختها - إذا اعترضتك حسنتان - فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك، ومثال ذلك: رجل أساء إليك إساءة، فالحسنة: أن تعفو عنه، والتي هي أحسن: أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاقق مثل الولي الحميم مصافاة لك»⁽⁹⁴⁾.

ويقول الألوسي في روح المعاني: «و(لا) الثانية مزيدة لتأكيد النفي . . . ؛ لأن استوى لا يكتفي بمفرد . . . ، وجوز أن يكون المراد بيان تفاوت الحسنات والسيئات في أنفسهما ؛ بمعنى أن الحسنات تتفاوت إلى حسن وأحسن ، والسيئات كذلك ؛ فتعريف الحسنة والسيئة للجنس ، و(لا) الثانية ليست مزيدة»⁽⁹⁵⁾.

أما المترجمون الثلاثة فلم يذكروا في الآية غير معنى التوكيد، فقالوا على اختلاف عباراتهم: المعنى لا تستوي الحسنة والسيئة، فمحمد مهر علي قال: «⁽⁹⁶⁾ And there equalize not the good and the bad ».

ومحمد الهلالي قال:

«⁽⁹⁷⁾ The good deed and the evil deed cannot be equal ».

وقال عبدالله يوسف علي:

«⁽⁹⁸⁾ Nor can Goodness and Evil be equal ».

فحصر ثلاثتهم الآية في معنى واحد باللغة الإنجليزية، في حين اتسعت باللسان العربي إلى معنيين اثنين.

4 - التضمين

- قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا . . . ﴾ (الطلاق: 8).

العتو في لغة العرب العصيان والنبو عن الطاعة⁽⁹⁹⁾، وكذلك مجاوزة الحد، جاء في اللسان: «عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا وَعِتِيًّا: اسْتَكْبَرَ وَجَاوَزَ الْحَدَّ»⁽¹⁰⁰⁾.

غير أنه في قوله تعالى ﴿عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ يحتمل التضمين فيدل على معنى آخر وهو الإعراض، يقول ابن عاشور في الآية: «والعتو ويقال العُتِيّ: تجاوز الحد في الاستكبار والعناد، وضمن معنى الإعراض فعدي بحرف (عن)»⁽¹⁰¹⁾.

ويقول الشوكاني: «والمعنى: وكم من أهل قرية عصوا أمر الله ورسله، أو أعرضوا عن أمر الله ورسله على تضمين ﴿عَنَتْ﴾ معنى أعرضت»⁽¹⁰²⁾.

وتقدير المعنيين مجتمعين في الآية: وكم من أهل قرية عصوا معرضين عن أمر

ربهم، فقد اتسع النظم في هذه الآية الكريمة لمعنيين اجتماعاً في كلمة واحدة، أحدهما ملفوظ والآخر ملحوظ بعبارة وجيزة، وسبك محكم بديع .
 والباحث في الترجمات الثلاث يدرك الدلالة المعجمية الواضحة للعتو، وهي معنى العصيان، غير أنه لا يعثر على المعنى المضمن بحرف الجر، ألا وهو الإعراض .
 يقول محمد مهر علي في ترجمته :

«And how many a habitat hurled defiance at the command of its Lord and His Messengers ... » ⁽¹⁰³⁾ .

ويقول محمد الهاللي :

«And many a town (population) revolted against the Command of its Lord and His Messengers» ⁽¹⁰⁴⁾ .

أما عبدالله يوسف فيقول :

«How many populations that insolently opposed the Command of their Lord» ⁽¹⁰⁵⁾ .

وبهذا تكون الترجمات الثلاث أشارت إلى المعنى الظاهر وأغفل مترجموها المعنى المضمّن بحرف الجر في السياق العربي؛ فجاءت ترجماتهم قاصرة عن إدراك أبعاد اللفظ القرآني ودلالته التركيبية في الجملة القرآنية .

خاتمة

وبعد هذه التطوافة في ثلاث ترجمات لمعاني القرآن الكريم ومقارنتها بالمعاني التي عبّرت عنها العربية بالنظم القرآني في خمس عشرة آية كريمة نخلص إلى أن ترجمات معاني القرآن الثلاث التي اعتمدها البحث على الرغم من تفاوتها في أزمته، واختلاف جنسيات مترجميها، وتباين مشاربها وأساليبها - لم تبلغ مجتمعة نصف ما بلغه النص العربي من المعاني بدلالات مفرداته المعجمية، وتراكيبه النحوية، وصيغه الصرفية، وأساليبه البيانية .

وإن نظرة إحصائية مبسطة تدل دلالة قاطعة على غنى التعبير القرآني إذا ما قيس بالتعبير في الترجمات الثلاث؛ إذ إن خمس عشرة آية عبّرت عن سبعة وثلاثين معنى،

أما الترجمات الثلاث فلم تعبّر مجتمعة عن أكثر من تسعة عشر معنى ، واقتصرت إحداها على خمسة عشر معنى ، لكل آية معنى واحد لا غير ، واثنان على ستة عشر معنى ، وقد توافقت الترجمات فيما بينها في اثني عشر معنى ، وتباين بعضها في ثلاثة معان ، واتفقت ترجمتان في أداء معنيين لآية واحدة .

وخلاصة القول إن التعبير القرآني يحمل في طياته من اتساع مفرداته في معانيها ومبانيها وخصائص تراكيبه وأساليبه ما يأبى أن يحل محله تعبير آخر بلغته العربية نفسها بله اللغات الأخرى ، وإن الألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فكيف بالتراكيب؟!

هذا ، ونظراً لكثرة ترجمات القرآن الكريم وتعميقاً لنتائج البحث في هذا المجال فإننا نوصي الباحثين بإجراء دراسات وصفية ومقارنة لمزيد من الآيات الكريمة في حقول دلالية متنوعة ، ومقارنتها بترجمات أخرى بالإنجليزية وغيرها من الترجمات المنشورة . وبما أننا آثرنا في بحثنا هذا أن نختار آيات اقتصر المترجمون على بعض معانيها فإننا ندعو الباحثين إلى إجراء مزيد من الدراسات حول آيات أخرى خرج المترجمون عن كل معانيها إلى معان ما أنزل الله بها من سلطان ، جهلاً أو مكرراً وكيداً . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الهوامش والمراجع

- (1) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ج2 ، ط1 ، القاهرة : المطبعة السلفية ، 1403هـ ، ص 493 .
- (2) النيسابوري ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق : نظر محمد الفارياي ، ج1 ، ط1 ، الرياض : دار طيبة ، 2006م ، ص 359 .
- (3) انظر الجمهور والباطل ، د . عبدالرحمن بن عبدالله ود . محمد بن عبدالرحمن : «ترجمة معاني القرآن الكريم بين نظريتين : الدلالية والتداولية» ، ضمن أعمال ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم : تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف : أبريل 2002 ، ص 4-5 .
- (4) «ترجمة معاني القرآن الكريم بين نظريتين : الدلالية والتداولية» : ص 5 .
- (5) القطان ، مناع : مباحث في علوم القرآن ، ط11 ، القاهرة : مكتبة وهبة ، 2000م ، ص 307 .
- (6) ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر . ط2 ،

- القاهرة: مكتبة دار التراث، 1973م، ص 20-21.
- (7) مباحث في علوم القرآن، ص 307. وانظر: رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، ج 9، ط 2، القاهرة: دار المنار، 1947م، ص 331. ومخلوف، محمد حسنين: كلمة حول ترجمة القرآن الكريم، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1351هـ، ص 6. والعثيمين، محمد بن صالح: شرح أصول في التفسير، الرياض: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، 1434هـ، ص 234.
- (8) انظر: الخطيب، د. عبدالله عبدالرحمن: ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية (من عام 1649 حتى عام 2013): دراسة وتقويم وعرض، ط 1، الشارقة: جامعة الشارقة، 2014، ص 8.
- (9) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبدالله دراز، ج 2، ط 2، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1975م، ص 66-67.
- (10) مباحث في علوم القرآن، ص 309.
- (11) الموافقات في أصول الشريعة، ص 68.
- (12) تأويل مشكل القرآن، ص 21-22.
- (13) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق ودراسة: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ج 5، ط 1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1998م، ص 476.
- (14) الموافقات في أصول الشريعة، ص 68.
- (15) مباحث في علوم القرآن، ص 309.
- (16) تفسير المنار، ص 331.
- (17) شرح أصول في التفسير، ص 235.
- (18) الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، ج 1، ط 7، القاهرة: مكتبة وهبة، 2000م، ص 21.
- (19) مباحث في علوم القرآن، ص 309.
- (20) مباحث في علوم القرآن، ص 310.
- (21) انظر: التفسير والمفسرون، ص 23-24. وكلمة حول ترجمة القرآن الكريم، ص 9 وما بعدها.
- (22) مباحث في علوم القرآن، ص 311.
- (23) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرين، ج 3، ط 2، الرياض: دار العاصمة، 1999م، ص 20.
- (24) كلمة حول ترجمة القرآن الكريم، ص 9.
- (25) انظر الزرقاني، محمد عبدالعظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، ط 3، مصر: مطبعة

- عيسى البابي الحلبي، د.ت، ص 169 .
- (26) انظر: ترجمات معاني القرآن الكريم، ص 190-191 .
- (27) انظر: ترجمات معاني القرآن الكريم، ص 227-233 .
- (28) انظر: ترجمات معاني القرآن الكريم، ص 315-316 .
- (29) الأزهرى، خالد بن عبدالله: **مُؤَصَّل الطلاب إلى قواعد الإعراب**، تحقيق: د. عبد الكريم مجاهد، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، ص 106 .
- (30) Ali ، Muhammad Mohar : A Word for Word Meaning of the Qur'an ، vol . 3 ، Ipswich ، UK : Jam'iyyat Ihyaa Minhaaj al-Sunnah ، 2003 ، p . 1680 .
- (31) Hilali, Muhammad Taqi-ud-Din and Khan, Muhammad Muhsin: Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, Madinah: King Fahd Complex For Printing The holy Qur'an, 1417, p.699.
- (32) Ali, Abdullah Yusuf: The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, New York: Tahrike Tarsile Qur'an, Inc, 1987. p.1405.
- (33) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، مراجعة: محمد خليل عيتاني، ط 2، بيروت: دار المعرفة، 1999م، ص 82 (تلى).
- (34) الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، اعتنى به: يوسف الغوش، ج 1، ط 4، بيروت: دار المعرفة، 2007م، ص 89.
- (35) البضاوي، أبو سعيد عبدالله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ج 1، ط 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ، ص 103 .
- (36) A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.57.
- (37) The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.51.
- (38) Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.23.
- (39) ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي: **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ج 11، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ص 123 .
- (40) Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.310.
- (41) The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.568.
- (42) A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.740
- (43) ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، ج 20، ط 1، بيروت: مؤسسة التاريخ، 2000م، ص 42 .
- (44) العمادي، أبو السعود محمد بن محمد: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج 7، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص 9 .

- (45) الرَّازِي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج 24، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م، ص 206.
- (46) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.1240.
- (47) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.519.
- (48) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.1008.
- (49) العُكْبَرِيُّ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج 1، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1976، ص 521.
- (50) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرين. ج 4، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ص 185.
- (51) اللباب في علوم الكتاب، ص 290-291.
- (52) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.429.
- (53) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.184.
- (54) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.315.
- (55) فتح القدير، ص 297.
- (56) أنوار التنزيل، ص 187.
- (57) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.256.
- (58) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.113.
- (59) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.191.
- (60) ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبدالله بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط 5، بيروت: دار الفكر، 1979م، ص 732-733.
- (61) التبيان في إعراب القرآن، ص 643.
- (62) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 10، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت، ص 93.
- (63) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.592.
- (64) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.250.
- (65) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.450-451.
- (66) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، ج 4، ط 3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ، ص 75-76.
- (67) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.678.
- (68) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.286.
- (69) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.514.

- (70) روح المعاني، ص 88.
- (71) أنوار التنزيل، ص 149.
- (72) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.123.
- (73) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.54.
- (74) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.97.
- (75) البحر المحيط، ص 178-179.
- (76) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني. ج 8، ط 2، القاهرة: دار الشعب، 1372هـ، ص 305.
- (77) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.1409, Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.588, The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.1169.
- (78) أنوار التنزيل، ص 13.
- (79) البحر المحيط، ص 449.
- (80) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.168.
- (81) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.72.
- (82) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.131.
- (83) مغني اللبيب، ص 256.
- (84) روح المعاني، ص 69.
- (85) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.1522.
- (86) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.635.
- (87) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.1272.
- (88) الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د. ت، ص 433.
- (89) البحر المحيط، ص 411. والسامرائي، د. فاضل صالح: معاني النحو، ج 2، ط 2، عمان: دار الفكر، 2003م، ص 140.
- (90) - A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.316.
- (91) - Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.137.
- (92) - The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.231.
- (93) الباب في علوم الكتاب، ص 139.
- (94) الكشف، ص 383.
- (95) روح المعاني، ص 123.

- A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.1551. (96)
- Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.647. (97)
- The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.1296 (98)
- (99) المفردات في غريب القرآن، ص 324 (مادة: عتا).
- (100) ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين، مج 4، د. ط، القاهرة: دار المعارف، د. ت، ص 2804 (مادة: عتا).
- (101) التحرير والتنوير، ص 299.
- (102) فتح القدير، ص 1503.
- A Word for Word Meaning of the Qur'an, p.1841. (103)
- Translation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language, p.767. (104)
- The Holy Qur'an, Text Translation and Commentary, p.1566. (105)